هل يُمكن للأدب القصصي أن يكونَ فلسفة؟

مارغريت هولاند

Can Fiction be Philosophy?

Margaret G. Holland

ترجمة: نورة آل طالب

ملخص

تبحث هذه الورقة في العلاقة بين الفلسفة والأدب من خلال تحليل الحجج التي قدمتها مارثا نوسباوم بشأن المساهمة التي يمكن أن تقدمها الروايات للفلسفة الأخلاقية. ولعلَّ زعمها الأكثر إثارة للجدل هو أن بعض الروايات هي بحد ذاتها أعمالٌ فلسفية أخلاقية. وأقارن هنا بين وجهة نظر نوسباوم وتلك الخاصة بآيريس مردوخ. وأناقش ثلاثة ادعاءات رئيسية تُمثل موقف نوسباوم، وهيَ: العلاقة بين أسلوب الكتابة والمحتوى، وعدم كفاية الفلسفة لإعداد الأفراد للحياة الأخلاقية بسبب اعتمادها على القواعد، وفائدة العمل الأخلاقي المُنخرط فيه قرَّاء الروايات. يستدعي تقييم هذه الادعاءات مناقشة طبيعة الفلسفة. أجد أنّ نوسباوم ومردوخ تتفقان بشأن قدرة الأدب على المساهمة في الفهم الأخلاقي، لكنهما تختلفان حول مسألة ماهية الفلسفة. لذلك هما تختلفان حول مسألة ما إذا كانت بعض الأعمال الأدبية هي أيضًا أعمالٌ فلسفية. وأناقش بأن المهمَّة التي تعيّنها نوسباوم للفلسفة هي مهمة فضفاضة وواسعة، وينبغي على الفلسفة أن تدرس الحجج الأخلاقية وتصنِّفها عن طريق الاستعانة بالمناهج النقدية والتأملية، وصحيح بأن النصوص الأدبية والدينية والفلسفية تساهم في التربية الأخلاقية، لكن الإبقاء عليها منفصلة يساعدنا على تقدير مساهماتها المتمايزة، وكذلك احترام غاياتها ووسائلها المختلفة. ومن ثم، أخلُص إلى أن إدراج نوسباوم لبعض الروايات ضمن الفلسفة لا يمكن تأييده.

يبحث ريتشارد بوسنر في مقالٍ حديث الفكرة التي طرحها علماء في حركة القانون والأدب القائلة بأن ".. الانغماس في الأدب يجعلنا مواطنين أفضل أو أشخاصًا أفضل."[1]. أهم ما تناقشه المقالة هو مجموعة من الحجج، من ضمنها عدد من تلك التي قدمتها مارثا نوسباوم بشأن التأثير الأخلاقي لبعض الأعمال الأدبية. ويشير في بداية مقالته إلى واحدٍ من أكثر آراء نوسباوم إثارةً للجدل المتعلق بالمساهمة التي يُمكن للأدب أن يقدمها للفلسفة الأخلاقية، وتحديدًا بعض الروايات. تكتب نوسباوم ".. بعض الروايات هي -قولًا واحدًا- أعمال في الفلسفة الأخلاقية"[2]، وهدفي هنا هو دراسة هذه الحجة، وسأقارن خلال ذلك بين آراء نوسباوم وآيريس مردوخ.

انتقيت لهذه المناقشة ثلاث حجج أساسية من مجموعة مقالات نوسباوم حول الفلسفة والأدب (*Love's Knowledge*). تتعلق الحجة الأولى بالعلاقة بين أسلوب الكتابة والمحتوى[3]. وحول هذا الموضوع تقول نوسباوم إن أسلوب الكتابة ليس محايدًا، إذ أن شكل الكتابة يؤثر على المحتوى المنقول؛ وإن بعض مناحي الحياة لا يمكن نقلها بما يكفي عبر الكتابة الجدلية؛ وإنه بمقدور الفنانين الأدبيين "ذكر ...حقائق" عن الحياة البشرية لا تجد لها مكانًا في النثر الفلسفي.[4]

تتعلق الحجة الثانية بفكرة نوسباوم القائلة بأن تركيز الفلسفة على القواعد يُخفي الحاجة إلى ملاحظة بعض السمات المعينة -وربما الفريدة من نوعها- للمواقف الملموسة. ترى نوسباوم بأن اعتماد الفلاسفة الأخلاقيين المعتاد على القواعد عند تناول المسائل المتعلقة بالسلوك السوي يقلل من أهمية التفاصيل الملموسة للحياة الأخلاقية. لذلك لا تُسهم الفلسفة كثيرًا في إعداد الأفراد للحياة الأخلاقية. [5]

---

[1] Richard A. Posner, "Against Ethical Criticism," *Philosophy and Literature*, April 1997, vol. 21, no. 1, p. 2.

[2] Martha Nussbaum, *Love's Knowledge: Essays on Philosophy and Literature* (*LK*) (New York: Oxford University Press, 1990), p. 148.

[3] الفقرتان التاليتان من *Love's Knowledge* توجز وجهة النظر هذه:

قد تكون هناك بعض وجهات النظر حول العالم وكيف ينبغي للمرء أن يعيش فيه – وجهات نظر تُؤكد خصوصًا على التنوع المذهل في العالم، وتعقيده وغموضه، وجماله الناقص والمشوب – التي لا يُمكن ذكرها بشكلٍ كاملٍ وملائمٍ في لغة النثر الفلسفي التقليدي... (ص. 3)

الادعاء هو أن أسلوب نوع معين من الفنانين الروائيين (وليس، على سبيل المثال، الأسلوب المرتبط بالأطروحة النظرية التجريدية) يمكنه سرد بعض الحقائق الهامة حول العالم على نحوٍ ملائم، وتجسيدها في قالبه وإقحام القارئ في الأنشطة الكافية لفهمها.

[4] انظر أيضًا Nussbaum, *LK*, pp. 4-5, 8, 142.

[5] فعلى سبيل المثال، تشير إلى أن:

المبادئ العامة المُعدَّة لنقل مجموعة واسعة من الحالات المشهودة في الماضي ستُثبت عدم كفايتها لإعداد الفرد للاستجابة للظروف الجديدة على نحوٍ ملائم. بقدر ما نُدرّب الأفراد على النظر للأحكام الأخلاقية باعتبارها منحصرة فقط على تنفيذ مثل هذه القواعد الموضوعة سلفًا.. نحن نُعدُّهم إعدادًا سيئًا لتيار الحياة الواقعي ونُفقِدهم المهارة اللازمة لمواجهة مفاجآتها.

لا تُلمح نوسباوم إلى أن القواعد غير مجدية، بل إلى أنها غير كافية. انظر *LK*, p. 73

الحجة الثالثة هي أن الأدب يملك القدرة على إشراك القارئ في شكلٍ من أشكال العمل الأخلاقي الذي لا تستدعيه النصوص الفلسفية، إذ تشير نوسباوم إلى أن بعض الروايات تُشرك القارئ في العمل الفكري من خلال الإمكانيات الأخلاقية للحيوات المذكورة في الرواية، حيث يُفسر القارئ اليقِظ الأهميةَ الأخلاقية للظروف الموصوفة، ويكوّن رؤية حول السلوكيات التي يتعين على الشخصيات القيام بها. في حين لا تستدعي الكتابة الفلسفية نفس العمل الأخلاقي الحاضر في القراءة الأدبية الجيدة حتى مع استخدام الأمثلة.[6]

كما ذكرت أعلاه، تخلُص نوسباوم إلى أن ".. بعض الروايات هي -قولًا واحدًا- أعمال في الفلسفة الأخلاقية"، ولتدعيم هذا الادعاء، تقترح أن يُنظر إلى الفلسفة على أنها سعي للفهم، وأن يُنظر للأخلاق بوصفها " .. البحث عن توصيف للحياة الطيبة للإنسان".[7] وتزعم نوسباوم بضرورة إدراج النصوص التي تعمِّق وتوسِّع المعرفة حول الحياة الطيبة ضمن الفلسفة الأخلاقية. (ص. 138-9، 142)

أنتقل الآن إلى موقف مردوخ الفلسفي. تشتهر مردوخ بين الفلاسفة بمناقشتها لفكرة "الانتباه الأخلاقي"، إذ إنها تستخدم هذا المصطلح لتعيين النشاط العقلي المتعلق بالسعي إلى رؤية الآخرين كما هم عليه، ورؤيتهم بعين العطف[8]. يتجلى الانتباه، أو قصوره، في توصيفات الأشخاص والمواقف. تعكس تلك التوصيفات جودةَ التبصُّر والإدراك، وتُشكلُها جزئيًّا مفردات الفرد وموارده المفاهيمية. علاوةً على ذلك، يكون التبصُّر أو التمييز في حد ذاته نشاطًا أخلاقيًّا. تكتب مردوخ في *Metaphysics as a Guide to Morals*:

---

[6] تكتب نوسباوم:

> ما أريد قوله هو أن مغامرة قارئ هذه الرواية (*The Golden Bowl*)، مثل مغامرة شخصياتها الحصيفة، تنطوي على جوانب قيمة من التجربة الأخلاقية الإنسانية التي لا ترصدها كتب الفلسفة الأخلاقية التقليدية... (ص. 143)

تتمثل وجهة نظر نوسباوم في أن بعض الأعمال الأدبية تمتلك خصائص تفتقر إليها الحجج والأمثلة والتجارب الفكرية الموجودة في الكتابة الفلسفية. وتشتمل هذه الخصائص على: تصوير الحياة العاطفية للشخصيات، والاستعانة بالمشاركة العاطفية للقارئ، وتكوين ظروف أساسية معقدة تعكس بعضًا من تعقيد الحياة الواقعية.

انظر أيضًا *LK*, pp. 46, 142-4, 148, 162

[7] تكتب:

> طالما كانت الغاية من الفلسفة الأخلاقية هي أن تمنحنا فهمًا بشأن الخير الإنساني من خلال فحص المفاهيم البديلة للخير، فإن هذا النص (*The Golden Bowl*) وغيره من النصوص المشابهة سيبدو أنه يُشكِّل أجزاءً مهمة من هذه الفلسفة. (ص. 142).

انظر أيضًا *LK*, pp. 3, 139, 142

[8] تكتب مردوخ مفسرةً استخدامها للمصطلح في كتاب *The Sovereignty of Good*:

> لقد استخدمت كلمة "انتباه" للتعبير عن فكرة النظرة المُنصفة والمُحبَّة الموجهة لواقع الفرد.

Iris Murdoch, *The Sovereignty of the Good* (*SG*) (New York: Schoken Books, 1971), p. 34.

"طريقة رؤيتنا لموقفنا هي في حد ذاتها نشاطٌ أخلاقيّ، يتم، في كل الأحوال، من خلال العملية اللغوية."[9]

لا يُعطى الوصف هكذا ببساطة؛ إذ إن ثراء اللغة أو فقرها يساهمان في تشكيل رؤية الفرد وفهمه. علاوةً على ذلك، ينشأ السلوك العام من جودة التصوُّر والوصف.

في كتاب (*The Fire and the Sun*)، تشير مردوخ إلى أنه بمقدور الأدب أن يُبرز للقارئ الفطِن جوانب من الحياة الأخلاقية التي تُلمّح إليها الفلسفة، في أحسن الأحوال، في تفسيراتها المنهجية. يمكن تعزيز الفهم الأخلاقي من خلال تقدير الصورة الفنية للتفاعل بين الشخصية والظرف، ومن خلال التأمل في تصوير الحيرة بين الإعراض والتجاوب التي تُشكِّل الحياة الأخلاقية، وتؤكد في صفحاتها الختامية أن "الفن هو أكثر شيء تعليمي لدينا.."[10]

ما من شك إذن في وجود اتفاق كبير بين مردوخ ونوسباوم حول قدرة الأدب على تعزيز الفهم الأخلاقي، كما يُبين تركيزُ مردوخ على الانتباه الأخلاقي الأهميةَ التي تعلِّقُها على التصور الدقيق للسمات الملموسة للأشخاص والظروف التي لا يُمكن رصدها في قواعد أو نظريات. كما يوجد اتفاق آخر بين نوسباوم ومردوخ حول جوانب أخرى من الحياة الأخلاقية والفكر الأخلاقي. تنتقد كلٌّ من مردوخ ونوسباوم النظرياتَ الفلسفية التي، على حد تعبير مردوخ، "...قد سعت إلى مبدأ واحد يُمكن أن تعتمد عليه الأخلاق".[11] كما تنتقدان الفلاسفةَ الذين ينظرون إلى الحياة الأخلاقية على أنها مسألة اختيار وسلوك عام. وتجاوبتا مع مثل هذه المواقف الفلسفية من خلال لفت الانتباه إلى دور الأحداث المحتملة والتفاصيل في الحياة الأخلاقية. ربما الأهم من ذلك، كلتاهما ناقشتا النشاطَ العقلي الذي يسبق السلوك، مشيرتان إلى أن المرء يفسر موقفًا ما بأنه ذو طبيعة أخلاقية معينة قبل السلوك العام[12].

مع ذلك، لا يُرى في هذا الاتفاق الواسع الرأيَ القائل بوجوب اعتبار بعض الأعمال الأدبية أعمالًا في الفلسفة الأخلاقية. فعلى الرغم من أن مردوخ تعتقد بأن الفن متفوق تعليميًّا على الفلسفة،

---

[9] Iris Murdoch, *Metaphysics as a Guide to Morals* (New York, Penguin Press, 1992), p. 315.

[10] Iris Murdoch, *The Fire and the Sun: Why Plato Banished the Artists* (FS) (Oxford, Oxford University Press, 1977), p. 86.

[11] Murdoch, *Metaphysics as a Guide to Morals*, p. 492.

[12] Nussbaum, *LK*, pp. 37, 84, 151. Murdoch, *SG*, p. 19.

وعلى الرغم من أنها روائية غزيرة الإنتاج، إلى أنها لا تُظهر أية علامات على تأييد هذا الجانب من موقف نوسباوم.[13]

في مقابلة حول موضوع الفلسفة والأدب، تتفق مردوخ مع الادعاء القائل بأن الفلسفة والأدب "نوعان من الكتابة يختلفان اختلافًا جذريًّا".[14] وحول موضوع الأسلوب الفلسفي، كتبت مردوخ:

> *أميل إلى القول بأن هناك أسلوبٌ فلسفيٌّ مثاليّ يمتلك صلابةً ووضوحًا استثنائيًّا لا لبس فيه .. عندما يكون الفيلسوف على خط المواجهة فيما يخص مشكلته، أعتقد بأنه يتحدث بصوتٍ واضحٍ وباردٍ ويمكن تمييزه. (ص. 231)*

تُعرِّف مردوخ وظيفة الفلسفة بأنها "محاولة لإدراك واختبار مفاهيمنا الأكثر عمقًا وعمومية." و " تحليل المعتقدات تحليلًا نقديًّا". (ص. 233) وترى بأن الفلسفة تجريدية، ومنطقية، ومباشرة" (ص. 236)

إذن، موضع النزاع بين مردوخ ونوسباوم يكمن في وظيفة الفلسفة؛ فمردوخ تنظر للفلسفة باعتبار أنها تقدم دراسةً نقديةً للمفاهيم، واستبصارًا منهجيًّا حول الافتراضات، بينما نوسباوم تنظر لها بوصفها بحثًا عن الفهم. إن وصف مردوخ للأسلوب والهدف المثاليَين للفلسفة يعني ضمنًا أن الأعمال الأدبية ليست أعمالًا فلسفية، مهما أجادت تصوير الحياة الأخلاقية ومهما عززت فهم القارئ. وأعتقد أن نظرة نوسباوم للفلسفة فضفاضة بحيث تشمل أعمال كتابية أخرى (كالكتابات التاريخية والسير الذاتية والنصوص الدينية) التي تصور الحياة الأخلاقية، ولديها القدرة على إثارة فكر القارئ الحاذق، وليس بعض الروايات فحسب.

أنتقل الآن إلى تقييم ادعاءات نوسباوم. يتعلق الادعاء الأول بالعلاقة بين أسلوب الكتابة والمحتوى المنقول. كجزء من هذا الادعاء، تقول نوسباوم بأن الفنان السردي قادر على سرد الحقائق التي لا يمكن نقلها من خلال الحجة الفلسفية. وأنا أتفق مع جوانب معينة من هذا الادعاء. أعتقد أن النوع والأسلوب ليسا حياديَين. فعلى العكس من ذلك، يُحدَّد المحتوى المعرفي والعاطفي المنقول تحديدًا جزئيًّا حسب النوع والأسلوب. وأحد أسباب عدم حيادهما من حيث المحتوى المنقول هو

---

[13] Murdoch, *FS*, p. 86.

[14] Iris Murdoch, "Philosophy and Literature," in *Men of Ideas* ed. Bryan Magee (Oxford: Oxford University Press, 1982) p. 230.

في مناقشتها للاختلافات، تضع مردوخ الفروق التالية: يقوم الأدب بعدة أمور، وتقوم الفلسفة بأمرٍ واحد (لديها هدف واحد)؛ الأدب طبيعي والفلسفة عكس الطبيعة؛ الأدب يثير العواطف، والفلسفة تسعى إلى إقصاء النداء العاطفي؛ الأدب غير مباشر والفلسفة مباشرة؛ الأدب لا يملك مشكلة تتطلب حلًّا، والفلسفة تسعى إلى حل عدد من المشكلات الفنية والتجريدية؛ الأدب يهتم بالشكل الجمالي، والفلسفة لا تتوخى الكمال الشكلي. تقول مردوخ أنها لا ترى "أي 'دور عام' للفلسفة في الأدب" (ص. 242).

أن بعض المحتوى يكون من الأفضل عرضه بينما المحتوى الآخر يكون من الأفضل سرده. والأسلوب المعياري للكتابة الفلسفية لا يُظهر جميع جوانب الحياة ذات الأهمية الأخلاقية.

غياب الفارق بين العرض والسرد يُضعف موقف نوسباوم. فالأدب الروائي لا *يسرد* الحقائق، بل إن الفنان السردي (أو الشاعر) يعرض أو يصوِّر أو يمثِّل كيف تبدو بعض التجارب. والأطروحة النظرية المجردة لا تثير تجارب معينة مشتقة من الحياة[15]. علاوةً على ذلك، لا يُمكن للمرء أن يستنتج عدم كفاية الفلسفة من الادعاء القائل بأن أسلوب الكتابة الفلسفي المعياري لا يُعد وسيلة مناسبة لكل أنواع المحتوى، إذ يحتاج المرء أولًا إلى إثبات أن جزءًا من غاية الفلسفة هو نقل هذا المحتوى.

يتعلق ادعاء نوسباوم الثاني بعدم كفاية القواعد والمبادئ العامة لإعداد الأفراد للتصرف على نحوٍ سليم في الحياة الواقعية. بالتأكيد، فهم الأسُس الفلسفية للقواعد العامة لا يكفي وحدَه للاستجابة الجيدة لظروف الحياة الواقعية لأنها تستلزم ما هو أكثر من ذلك؛ فالقدرة على تمييز التفاصيل وقراءة المواقف أمرٌ ضروري. علاوةً على ذلك، بوسِع الأدب تصوير مدى تعقيد هذا الجانب من الحياة الأخلاقية. والسؤال الأساسي هو ما إذا كان من الممكن أن يُتوقع أن تؤدي الفلسفة وحدها مهمَّة إعداد الأفراد للحياة الأخلاقية. بمجرد طرح السؤال، يتضح جليًّا أن الجواب لابد وأن يكون لا، لأن الرد بالإيجاب يعني الاستحواذ على حقل التربية الأخلاقية بأكمله. إن الفلسفة نشاطٌ فكري؛ ويجب أن تتضمن الفلسفة الأخلاقية تفسيرًا للشروط التي تسمح بإمكانية الحياة الأخلاقية بالإضافة إلى إيضاح لبنية الفكر والعمل الأخلاقيَين، وبنية القيمة الأخلاقية والفهم الأخلاقي، ويمكن للأفراد استعمال هذا التفسير في حياتهم. ولكن، أن تَعيب الفلسفة لعدم كفايتها في إعداد الأفراد للحياة الأخلاقية نقدٌ غير دقيق؛ إذ إنك تعيّن وظيفة لا تناسب الفلسفة.

يتعلق الادعاء الثالث بقدرة الأدب على إشراك القارئ في العمل الفكري الأخلاقي من خلال المشكلات التي تواجه الشخصيات الخيالية. الكتابة الفلسفية قد تفعل ذلك في بعض الأحيان من خلال الحوارات أو الأمثلة، غير أن نوسباوم مُحقة بشأن أرجحية أن تقوم الكتابة الأدبية بإقحام القارئ في نشاطٍ تأملي حول شخصيات وظروف محددة. إن طريقة الفلسفة في تعليم القارئ هي

[15] انظر Frank Palmer, *Literature and Moral Understanding* (Oxford: Oxford University Press, 1992), chapter 8.

أكثر عمومية ومنهجية. في حين قد ينقل الأدب جوانب من الحياة الأخلاقية تقع خارج حدود معظم أشكال الكتابة الجدلية، ومن ثم فهو يفضي إلى نوعٍ مختلفٍ من التفكير الأخلاقي.

هل ينبغي اعتبار كل نص يتبصر في الحياة الأخلاقية ويملك إمكانات تعليمية عملًا فلسفيًّا؟ لصياغة جواب عن هذا السؤال، يجب على المرء أن يفحص بدقة ما تم التأكيد عليه بشأن الفلسفة والأخلاق على وجه الخصوص. كما ذكرنا سابقًا، تقول نوسباوم إن "الأخلاق هي البحث عن توصيف للحياة الطيبة للإنسان." ثمة إشكالية في هذا التعريف؛ فإن كان التوصيف يعني "وصفًا نهائيًّا محددًا"، فقد لا يكون هذا ما كان يريده الفلاسفة تقليديًّا. على سبيل المثال، لو فكَّر المرء في الطبيعة العملية للأخلاق (أرسطو) أو الواجبات غير الكاملة (كانط)، فإن معظم ما يتعلق بالحياة الطيبة يُحدَّد من خلال سمات سياقية لا تتماشى مع الوصف النهائي المسبق. لهذا يصعب الاتفاق على أن هذا وصفٌ دقيق لمشروع الاخلاق.

وحتى لو كانت الأخلاق تبحث عن وصفٍ (specification) للحياة الطيبة، فمن الصعب أن نرى كيف يمكن أن تبحث الأعمال الأدبية عن النوع ذاته من التوصيفات (لو سلمنا بأن الأدب يبحث عن وصفٍ). لذلك هناك مشكلتان على الأقل: مشكلة تتعلق بوصف الأخلاق، ومشكلة تتعلق بالاستعمال الغامض لمصطلح "توصيفات" عند استخدامه مع الفلسفة والأدب.

يتضاعف الغموض مع استخدام نوسباوم لمصطلح "فحص" (scrutiny) حول مناقشة الفلسفة الأخلاقية والأدب، تقول نوسباوم:

> *"طالما كانت الغاية من الفلسفة الأخلاقية هي أن تمنحنا فهمًا بشأن الخير الإنساني من خلال فحص المفاهيم البديلة للخير، فإن هذا النص [The Golden Bowl] وغيره من النصوص المشابهة سيبدو أنه يُشكل أجزاءً مهمة من هذه الفلسفة."(ص.142)*

أعتقد أن "فحص المفاهيم البديلة للخير" يشير إلى التحليل الفلسفي لمفاهيم الخير. وبالتأكيد فهذا جزء من الوظيفة المناسبة للفلسفة الأخلاقية. عندما يقول أحدهم إن الفلسفة "تفحص" فهذا يعني أنها "تُحلل". لكن ماذا يعني استخدام المصطلح "فحص" عند الحديث عن رواية؟ إنه يشير إلى شيء مثل عرض أو تصوير أو تمثيل تعقيدات الشخصية الأخلاقية، ودوافعها، وخياراتها، وأفعالها ومشكلاتها بشكلٍ خلَّاق أو بإسهاب، لنقل ثراء وتعقيد الجوانب الأخلاقية للحياة الروائية الخيالية. وإن كان فحص (تحليل) مفاهيم الخير هو جزء من الفلسفة الأخلاقية، فلا يلزم أن يكون الفحص الأدبي (العرض/التصوير) لكيفية نجاح الحياة المتخيلة أو فشلها في تجسيد مفاهيم الخير جزءًا من الفلسفة.

يتعلق جانب آخر من جوانب الصعوبة في تقبل موقف نوسباوم بإجراء اختيار الأعمال الأدبية كنموذج أخلاقي. تقول نوسباوم إن بعض الروايات هي أعمال في الفلسفة الأخلاقية، وتفضل رواية جيمس (*The Golden Bowl*) كمثال نموذجي في هذا الصدد. يشير بوسنر إلى عدد من المشكلات الناشئة من السعي لاختيار أعمال أدبية كنماذج أخلاقية. على سبيل المثال، على حد تعبير بوسنر، " تمتلئ الكلاسيكيات بالفظائع الأخلاقية" "وعالم الأدب عبارة عن فوضى أخلاقية". لا تحتوي الأعمال الأدبية العظيمة على رسائل مثالية أخلاقية. عندما يكون اختيار الفرد للأعمال الأدبية قائمًا على تقييم رسالتها الأخلاقية، فإنه سيغفل حتمًا عن الأعمال ذات القيمة الأدبية الكبيرة.
إن بوسنر على صواب، إذ إن مجموعة متنوعة من المشكلات تنجم عن هذا الإجراء في الاختيار. غير أن اهتمامي ينصب على قضية ذات صلة: ليس من وجهة نظر نوسباوم أن جميع الروايات هي أعمال ذات حكمة أخلاقية عظيمة، إذ إنها تستخدم المبادئ الأخلاقية لتوجيه اختياراتها، أي المبادئ الأرسطية المتعلقة، مثلًا، بأهمية تمييز التفاصيل. لذلك فإن الفارق بين الفلسفة والأدب ضمنيٌّ في أعمالها. طالما كان هناك اختيارٌ مدروس للروايات، فيكون من الممكن مناقشة أسباب الاختيار، ومثل هذه المناقشة للمعايير تجعل من الصعب تجنب التسليم بوجود شيء من الاختلاف بين الفلسفة والأدب.

غالبًا ما تدمج الأعمالُ الفلسفية الكتابةَ المنطقية بالأمثلة والبلاغة والسرد، إذ سيكون من الحماقة الاعتقاد بإمكانية صياغة وصف للأساليب والوسائل الفلسفية من حيث شروط الضرورة والكفاية المنطقية، لكن من الممكن أن يُصاغ الوصف من حيث الأهداف والأساليب المميزة التي تُميز جانب كبير من الفلسفة، إذ تسعى الفلسفة عادةً إلى إيضاح المسائل المجردة الشاملة والمفاهيم الأساسية باستخدام أساليب صارمة. تتسم هذه الأساليب بالمنهجية، بحيث تتضمن فحصًا دقيقًا للمفاهيم، وغالبًا ما تستلزم تسويغ الادعاءات إما من خلال المناقشة أو العرض المنهجي. وتنطوي الفلسفة عادةً على تقديم التعريفات، وتمييز الفروق، وطرح الأسئلة التأملية، وتحليل ما يلزم لدعم الادعاء، وتحديد الافتراضات المفاهيمية والوقائعية ونقدها، ودراسة مجموعة متنوعة من الآراء، وصياغة المفاهيم. وخلال كل هذا يستعين الفلاسفة غالبًا بأمثلة لتوضيح الفروق التي تُعد أساسية للمحاججات[16].

[16] عند التطرق إلى هو مميز بشأن الفلسفة، ساعدتني قراءة كتاب لـ *Derrida and Wittgenstein* لنيوتن غارفر وسونغ تشونغ لي (Philadelphia: Temple University Press, 1994), chapter 6.

تهتم الفلسفة الأخلاقية بتمييز المسائل الأخلاقية عن المسائل غير الأخلاقية، ودراسة بنية الحياة الأخلاقية، وفرز المسائل الأخلاقية الجوهرية وتصنيفها، ودراسة ما يُشكِّل الحياة الطيبة، ومناقشة السلوكيات السليمة والمبادئ التي ينبغي الاسترشاد بها، والمزايا النسبية لأخلاقيات الفضيلة، والعواقبية (consequentialism)، والأخلاق الواجبة باعتبارها تفسيرات نظرية للحياة الأخلاقية. ومن خلال اتباع منهج واسع وشامل وحاسم للمسائل الأساسية، تساهم الفلسفة بمساهمة لا غنى عنها في الفهم الإنساني.

قد يكون من المفيد مقارنة العلاقة بين الروايات والأخلاق بالعلاقة بين العلوم وفلسفة العلوم، وكذلك العلاقة بين الفن وعلم الجمال. لا أقصد الإشارة إلى أن العلاقة بين بعض الروايات والفلسفة الأخلاقية مشابهة للعلاقتين الأخريَين؛ حيث تُعد الأنشطة والمنجزات العلمية والفنية أكثر أهمية لفلسفة العلوم وعلم الجمال من الأدب بالنسبة للفلسفة الأخلاقية. ومع ذلك، وعلى الرغم من الدور الذي تؤديه العلوم في توفير المادة للتفكير الفلسفي، لا أحد يسمع بأن بعض التجارب أو الأساليب العلمية هي بحد ذاتها أمثلة على فلسفة العلوم. وبالمثل، الأعمال الفنية التي يناقشها علم الجمال لا تُعد أعمالًا فلسفية بحد ذاتها.

بمقدور الأدب مساعدة الفلاسفة على رصد الحياة الأخلاقية وتحسين تفسيراتهم المنهجية. إن النظر للفلسفة والأدب على أنهما مسعيان متمايزان، بأهداف وأساليب مختلفة ومن ثم رفض اعتبار روايات مثل (*The Golden Bowl*) أعمالًا فلسفية، لا يستلزم الرأي القائل بضرورة استبعاد الأعمال الأدبية من المجالات الفلسفية أو الكتابة الفلسفية.

وبالمقابل، بإمكان المنهج الفلسفي تزويد المرء بالمهارات اللازمة لدراسة الصور الأدبية دراسةً دقيقة، وتقييم الحياة الخيالية الروائية، ما يُمكِّن المرء من إدراك قيمة التأثير الفلسفي على النصوص الأدبية والاحتفاظ بموقفه أن كلا النشاطَين متمايزَين.

هناك على الأقل ميزتان مختلفتان للمسلك الذي حددته. أولاهما أن هذا المسلك يحافظ على وجود نوع من التقدير للقيمة الجمالية للأدب. لو أقرّ المرء بأن بعض الأعمال الأدبية تمنح فرصة للاستبصار الأخلاقي بشأن شخصيات وظروف معينة، فينبغي عليه أن يتجنب النظر لتلك الأعمال على أنها ذات قيمة وسائلية فقط حتى لا يخفق في رؤية الصفات الجمالية التي لا علاقة لها بالمسائل ذات الأهمية الأخلاقية. لا يُحذر بوسنر من هذا الخطر فحسب، بل يقول إن "بعضَ القراءات الأخلاقية للأعمال الأدبية تميل إلى أن تكون قراءات مختزلة وتحيد عن الموضوع."

(ص.12) ومن أجل تقدير الأعمال الأدبية، ينبغي النظر إلى ما وراء مساهماتها في الفكر الأخلاقي والفلسفي؛ فمعاملتها بوصفها أعمالًا فلسفية يُضعف من إدراك قيمتها الفنية البحتة.

وتتعلق الميزة الثانية بحقيقة أن الكثير من الكتابات التي كان لها تأثير أخلاقي فعلي تقع خارج نطاق الفلسفة والأدب، وأشير تحديدًا إلى التلمود والعهد الجديد والقرآن، ولا يحتاج المرء أن يُنكر أن تلك الكتب الدينية اتُخذت على أنها مستودعات للتوجيه والإرشاد الأخلاقي من أجل الاعتقاد بأن فائدتها الأخلاقية لا توفر أسبابًا لاعتبارها أعمالًا فلسفية.

إن ميزة النظر للفلسفة على أنها مشروع متفرّد لا يُحيط بجميع النصوص التي تنقل المعرفة حول الخير الإنساني هي أن المرء يُقرّ صراحةً بالوظيفة الفلسفية المتمثلة في تقييم وتصنيف الحجج الأخلاقية. والمساهمة الفريدة التي تقدمها الفلسفة للفكر الأخلاقي هي أنها تحث المرء على التفكير فيما يراه أنه واجبٌ أخلاقي، ولا يقبله لمجرد صورته الفنية أو سلطته الدينية. تساهم النصوص الأدبية والدينية والفلسفية في التربية الأخلاقية، والإبقاء عليها منفصلة يُساعد على تقدير إسهاماتها المتميزة، وكذلك احترام غاياتها وأساليبها المختلفة.

---

https://www.bu.edu/wcp/Papers/Lite/LiteHoll.htm